

المكونات الدينامية للتبليغ*

لـ: بيرنار بوتتي

ترجمة: رشيد بن مالك

1. المنظورات الثلاث:

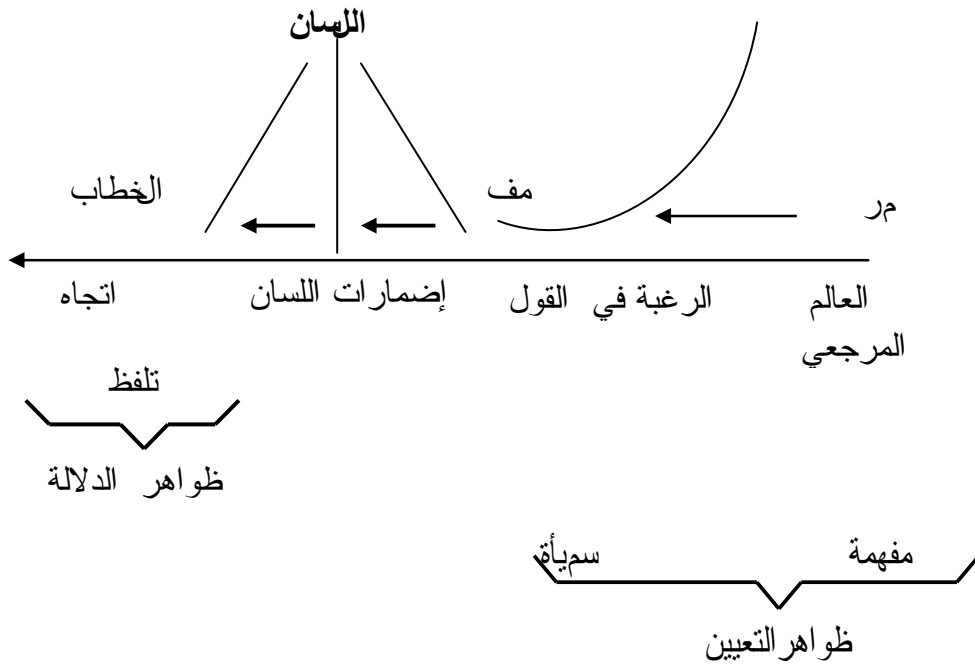
لا يمكن أن نتكلم عن الظواهر اللسانية دون أن نوضح المنظور الذي نتخذه. إن الفرد الذي يستعمل اللغة يلقي نفسه إما في وضعية الباث وإما في وضعية المتلقي، منتقلا في ذلك باستمرار من هذه الوضعية إلى تلك. أما اللساني، فإنه يحتل موقع الملاحظ الساعي إلى استنباط الآليات التي يمكن أن تعمل على تجلية هذا الاشتغال المضاعف. فهو في الوقت نفسه الباث، والمتلقي، الذي يفكر في كفاءاته، ويبحث عن العمليات المشتغلين في هاتين الوظيفتين التبليغيتين: تصور المسار المدلولي (من مقاصد القول إلى التجليات اللسانية)، وتأويل المسار الدالي (من النصوص أو الرسائل المركبة إلى بناءات المعنى التي تمكننا من الفهم).

من هذه المنطلقات، يحاول اللساني إعادة تشكيل التبليغ اللساني الكامل، محافظا في ذلك على التوازن بين اللجوء إلى الاستبطان والحدس من جهة، وملاحظة التبادلات التبليغية من جهة أخرى (التحريات، المدونات...).

وإذا كانت كلمتا باث ومتلقي تغطيان وقائع على درجة كبيرة من التنوع (شخصيات وسيطة، أجهزة، تناوبات متنوعة)، فإننا سنخصص مصطلح اللفظ للمتصور المسؤول على الرسالة، والمؤول للمرسل إليه المعني مباشرة بهذه الرسالة.

2. مسار اللفظ:

يتخذ اللفظ لنفسه نقطة انطلاق مرجعية (مر) قد تتنوع طبيعتها (شم، صوت، نظرة، ذكرى، نص الآخر...). فهو يعي برغبته في القول في اللحظة التي يفهم (مف) فيها قصديته في التدليل. ينبغي أن يُودع هذا التنظيم الذهني المقترن بصيرورة التدليل في العلامات، من خلال ما يقدمه النظام السيميائي من وسائل. ونعني بالنظام في هذه الحالة اللسان الطبيعي (لط) الذي يتكون أيضا من نظامه اللغوي، بالقوة والإضمار، ومن آليات التلفظ التي تمكن من إنجاز التحقيقات الخطابية. يجدر بنا أن نميز في المصطلحية بين النماذج الجمالية في اللسان التي تتضمن المدلولات بالقوة، وملفوظات الخطاب المحقق والحاملة للمعنى. ولتكن المقطوعة الآتية للمسار المدلولي:

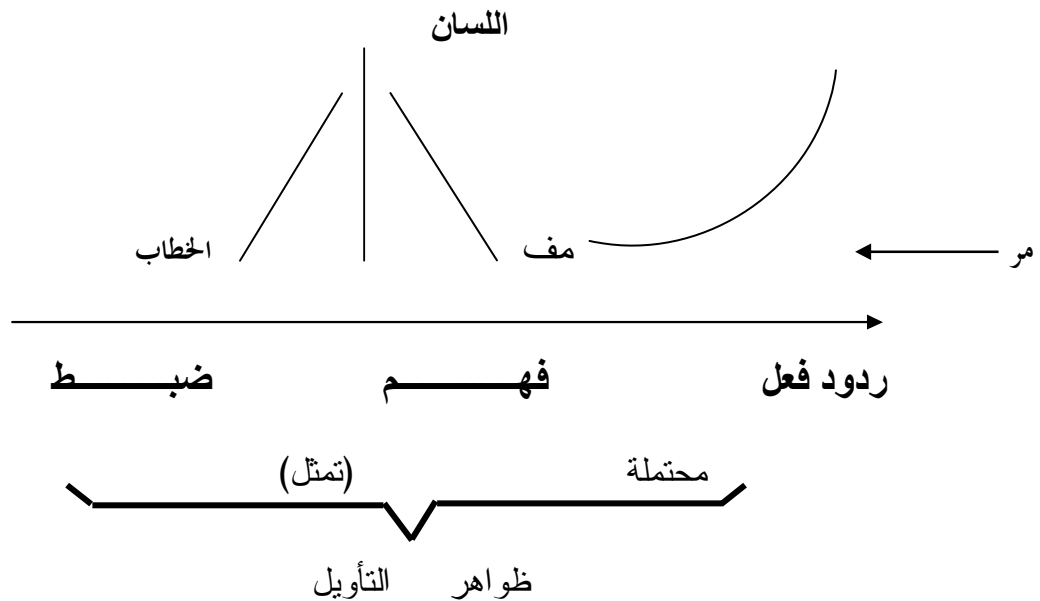


وتوسعا بالتعميم، نلاحظ أن المرجعي غير محدود، وأن الرغبة في القول موجزة (كيفما كانت سعة تجلياتها الدلالية)، وأن اللسان يقدم مجالا رحبا محددًا بدقة (إن الآليات

النحوية محددة بقوة، غير أن حدود المعجم الذي يعرفه الفرد غامضة)، وأن الخطاب الملاحظ وحيد، خصوصي دوماً، وهو بمثابة العبارات النادرة المتصلة.

3. مسار المؤول:

في الحالة الخاصة بالتبادل اللساني، يتخذ المؤول نقطة انطلاقته النص، الشفوي أو المكتوب. وبفضل معرفته المتعددة (باللسان والعالم ومُحدِّثه...)، يقوم بتحديد العناصر الخطابية في سبيل بناء فرضية معنى تقوده إلى فهم الرسالة، ونعني بذلك أنه يتمثلها ذهنياً، يفهمها ليتصل بسرعة عن علامات اللسان الطبيعي التي ضبطها سلفاً وسخرها للفهم. تأسيساً على هذا، فإن رد فعل المؤول يتسرب عبر طرق متعددة، نلقى تجلياتها في إجابته باللسان الطبيعي، في تفكيره، وفي الفعل الذي يمارسه على العالم. نتقدم مقطوعة المسار الدالي على النحو الآتي:

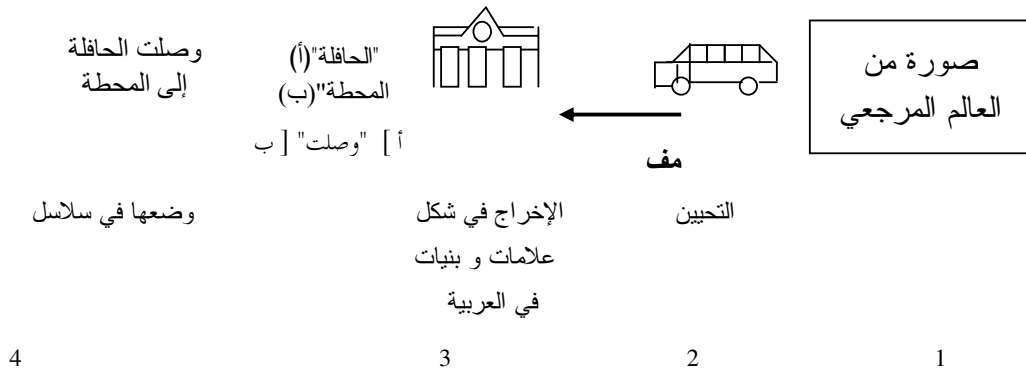


نحتفظ بالملاحظات نفسها المقيدة سلفاً بخصوص التوسع بالتعميم.

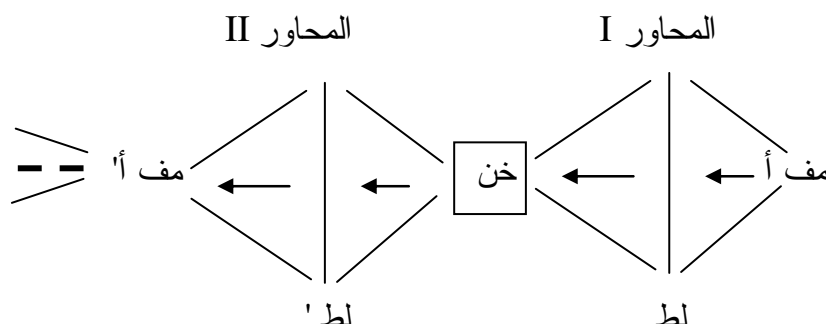
4. توليفة اللساني:

- إن اللساني الذي يرغب في إبراز هاتين الآليتين المتكاملتين واللامتماثلتين ينظر في:
- **المرجعي:** عالم الانطلاقة أو الوصول، وهو اختياري بما أن المفهومي في تفردّه يمكن أن يشكل منطلق اللفظ (ذاكرته)، ووصول المؤول (تحيينه في الذاكرة)؛
 - **المفهومي:** مكان التمثل الذهني الذي أضحي مستقلا عن الألسن الطبيعية والأنظمة السيميولوجية الأخرى، ومقر الإخراج؛
 - **اللسان:** بوصفه معرفة (معجم و نحو الكفاءة) حيث يتحقق تحيين العلامات والقوالب، أو ضبطها إذا تعلق الأمر بالمؤول؛
 - **الخطاب:** في وظيفته المضاعفة للنتيجة الملاحظة بعد وضعه في سلسلة، وقاعدة لانطلاق المؤول.

تمثيل مبسط لـ المسار المدلولي:

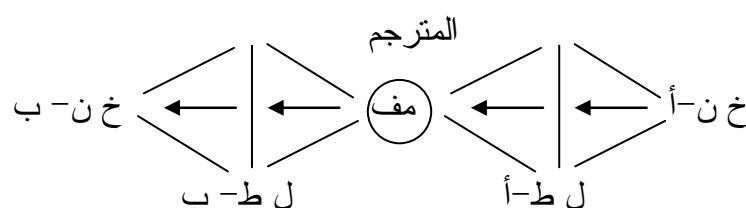


رسم الحوار:



إذا كانت كفاءتا اللسان (ل ط، ل ط) متقاربتين، فإن المضمون المفهومي للانطلاقة (أ) يكون قريباً أيضاً من المضمون المفهومي للوصول (أ). ويعد الخطاب النهائي (خن) النقطة المشتركة الملاحظة في الحوار.

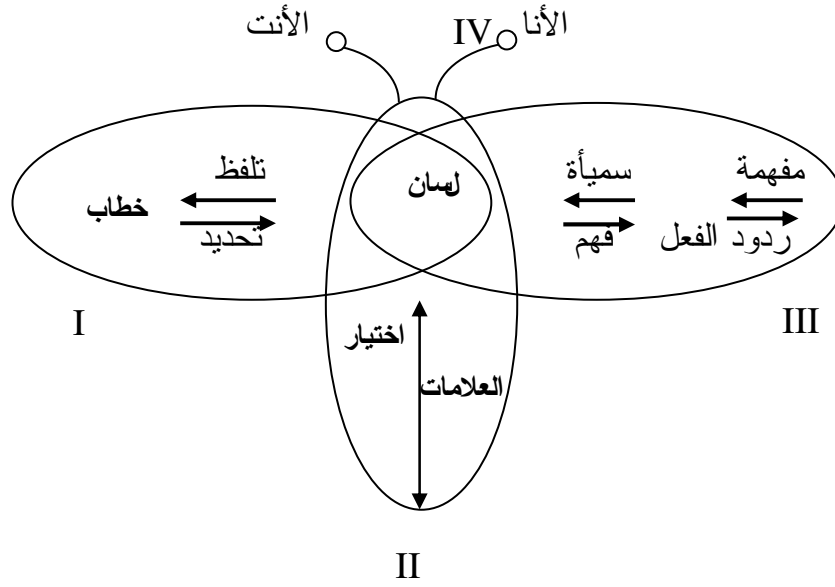
رسم الترجمة:



يعد المترجم صانع الأعمال في مهمته . فهو يحول النص أ إلى تمثّل ذهني يعيد قوله في اللسان ب، بهدف الوصول إلى النص ب. إن النقطة المشتركة، "المفهوم قيد الترجمة" يشكل التنظيم المفهومي (الفصل السادس).

5. الفراشة الدلالية:

إذا تناولنا الأمكنة الأربعة الخاصة بالعمليات الموصوفة، وإذا أضفنا إلى كل ذلك المحاورين الأنا والأنت، فإن هذا سيفضي بنا إلى وضع رسم شمولي نسميه "فراشة دلالية".



I. الدلالية المرجعية: تفحص العلاقات بين العالم، المفهمة وأنظمة الألسن الطبيعية. إنها تدرس ظاهرة **تعيين** الأشياء الحقيقية أو الخيالية، وبشكل إضافي الإحالة على أشياء العالم.

II. الدلالية البنيوية: تهدف إلى توضيح الحوافز التي تقف وراء اختيار العلامات

في لسان محدد، بتحليل سمات (السيمات) مدلول هذه العلامات في علاقتها بالمدال.

III. الدلالية الخطابية: تصف آليات انتقال اللسان إلى خطاب، والعكس صحيح.

يتعلق الأمر بوجود معرفتي فعل متكاملتين. وتتحول مدلولات اللسان إلى دلالات في صلب الخطاب، وموضوعة في سياق .

IV. الدلالية التداولية: تولي أهمية لعلاقات المعرفة والإرادة القائمة بين المتحاورين،

الذين يحددون بشكل كبير مضمون وشكل الرسائل (الفصل VX).

إن التوسع في كل واحدة من هذه الدلاليات المتكاملة والمتعايشة سيكون له وزن متغير جدا في هذا المؤلف، بسبب الوضع الراهن للبحث لهذه المادة في هذا المجال. وستظهر

اعتبارات تركيبية في أي لحظة، لأن التركيب يمرر المعنى، على نحو ما يؤكد ذلك أ.ويرزيكا (83، ص. 1):

« If semantics is to be defined as a study of meaning encoded in natural language the syntax is simply one part of semantics ».

6. الدلالات المستقلة:

إلى جانب الدلالات الأربعة المشكلة للخطة اللسانية، يمكن أن نفترض ثلاث دلالات أخرى، نعتبرها مهمة لاعتبارات عديدة.

إن السيميائية النصية تتخذ التحقيقات اللسانية، المتسمة بالسعة على نحو تقريبي، موضوعا لها، وتهدف إلى استنباط البنى التنظيمية الكبرى لـ *المعنى*. وتمثل أعمال أ.ج.غريماس A.J.Greimas ومدرسته في هذا الاتجاه مثالا حيا (30، 29). إن النص هو في الواقع نقطة الانطلاقة الوحيدة الملموسة للساني، وفيما تنطبق الآليات الدلالية العامة على كل أبعاد التحويلات إلى علامات، فإن السيميائية النصية تبقى في مدار اهتمامات اللساني. ولكننا نلاحظ أنها تشغل في الأعم الأغلب على الترجمات (بالقوة)، وهذا يعني أنها تتخلى بالضرورة عن العديد من خصوصياتها المربوطة بغنى التجليات الخاصة باللسان الطبيعي. وبهذا المعنى، تتصل خطتها عموما بتلك المتصلة بالمفهمة.

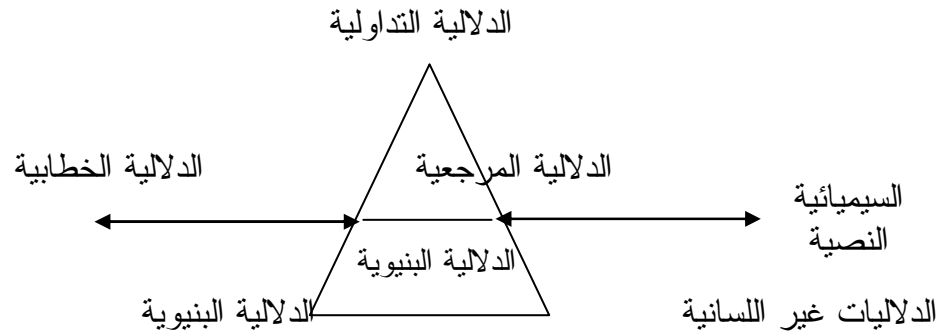
تضم السيميولوجيات المتوازية مجموعة الأنظمة السيميولوجية المستعملة بشكل مواز مع النظام اللساني. ولئن كنا نلمس، في الغالب، هذا في الأمثلة المرئية (رسم، صورة، صورة شمسية)، فإننا نسجل ظهور تنوع أنظمة أخرى (الموسيقى، الروائح، استعارات اللمس والذوق). إن نبرة السلسلة الصوتية، أو التنوعات الطباعية للكتابات تقدم تفاعلات قوية بين النظام اللساني والسيميولوجيات الأخرى (الفن الخطابي أو الخطي). يمكن (أو ينبغي في أغلب الأحيان) أن يدمج سلوك المحاور، حركاته، إيماءاته، واستعماله للفضاء في وصف الرسالة.

إن الدلالات غير اللسانية أسست لذاتها، وتستعمل الأمثلة المستمدة من الألسن الطبيعية بشكل ثانوي. تمرر الرياضيات المعنى المصطلح عليه كونيا، بحيث يكون دائما مقبولا: $2 = (أ+ب) = 2^أ + 2^ب + 2^2$ أ.ب. إن للمنطق تجانسه الخاص، ولا يصير قابلا للنقد إلا عندما

يرغب في تمثيل قضاياها بمقطوعات في اللسان الطبيعي. غير أنه يمكن أن يكون نفيسا في طرق تقديم ظواهر المعنى (الفصل V).

7. حوصلة:

وصلنا الآن إلى صياغة مجموعة من سبعة مجالات دلالية، يمكن أن تدمج في تفكير اللساني. وقد قمنا بذلك تبعا لدرجات اجتهادنا في التمييز بينها:



ثبت المصطلحات الأساسية في النص:

émetteur	الباث
récepteur	المتلقي
onomasiologique	المدلولي
sémasiologique	الدالي
énonciateur	اللافظ
conceptualisation	المفهمة
interprétant	المؤول
le referentiel	المرجعي
concepteur	المفهم
sémantique pragmatique	الدلالية التداولية
sémiologie	السيميولوجيا
sémiotique	السيميائية